**المحاضرة الثالثة: المقدمة الخمرية**

 **تمهيد:**

 الخمر هو فن من فنون التي انتشرت وشاع أمرها في نفوس الكثير من العامة، وخاصة المجتمع العباسي، حيث عرفت في العصر الجاهلي والأموي. وقد تغنى بها في أشعارهم فكانت تأتي في بداية قصائدهم بشكل دائم على خلاف العباسيين التي قصدوها لذاتها، حيث اتسعت في المعجم الفني لشعر الخمر وقد ازدادت ثروته وتنوعت صورة الخيال في العصر العباسي ممّا يدل قصائد الخمريات على تطور واتساع الثقافة في العصر العباسي، فقد كان الشعراء يهتمون به وبخصائصه الفنية للشعر العباسي من خلال تصوير الألوان ومذاقها وأوانيها وأيضاً مجالسها وتأثير الشاربين للخمرة، فهم يرون بأنها أحياناً محبوبة لهم أدمنوا عليها وفراقها يؤذيهم ويجعلهم يشعرون بنقص شيء أساسي في حياتهم. ويعد الشاعر المعروف أبو نواس من الشعراء المتخصصين بالحديث عن الخمرة ومجالسها وأدواتها وكل ما يتعلق بها فقد كان الشعراء مثل الأعشى والأخطل قد سبقوا أبو نواس في شعر الخمرة ولكن لم تكن عنهم باباً قائماً بذاته؛ لأنّ الخمرة عندهم كانت وسيلة وليست غاية، فكانت الخمرة عند أبو نواس باباً مستقلاً أقتصر شعره على الخمريات فكتب به الكثير وأبدع فيه التصوير. فقد كانت ملامح التجديد في الخمريات عند أبو نواس حيث كان يتعمق في معانيها وكانت تحتل في مطلع قصائده العباسية محل رقيق الشعر في النساء وكانت تستقل القصائد وتعد عرض من أعراض القصيدة التقليدية، وقد كانت قصائد أبو نواس في الخمريات تتسم بعدّة سمات ومنها الترف والبساطة وسهولة اللغة، وكانت تمتاز بعدة ميزات وهي: الصدق ووحدة الموضوع وأيضاً نجاحها في تمثيل نفسية القائل. والخمريات أو قصائد[**الخمرة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%85%D8%B1%D8%A9)، وهي قصائد تتناول [الخمر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%AA_%D9%83%D8%AD%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9)، بدءا بالخمرة وأوصافها، وأوانيها وأشكالها، ومواطنها ووصف لمجالسها وماتتضمنه من سقاة وندماء وغناء ولهو وطرب، ووصفًا ، ويعد أبو نواس رائد شعر الخمريات حيث جاءت قصائده كأحد أبرز تيارات التجديد في أدب العصر العباسي، حيث أن الخمرة قلّ وجودها في القصائد بعد الإسلام، ليعيدها أبو نواس في أوج قوة [العصر العباسي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A)، العصر الذهبي للأدب والكتابة [العربية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9)  و يعتبر التغني بالخمرة والثناء بها والتلذذ بشربها والتفنن في اعدادها أبرز مواضيع هذه القصائد إذ جعل [أبو نواس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B3) منها بديلا عن حبيبات أهل البدو فمجدها وتغنى بها عوض ان [يقف على اطلال حبيبة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%82%D9%88%D9%81_%D8%B9%D9%84%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%84). أو خليلة تكاد المصادر التراثية تجمع على أن أشعر الناس في

 ومع أن أبا نواس عرف بشاعر الخمر وزعيم فن (الخمريات) إلا أنه لم يخترع هذا الفن ولم يسبق إليه وإنمّا سبقه إليه كثير من الشعراء في العصور الجاهليّة والإسلامیة والأموية.فقد عرف الشعرالخمري عند الشعراء الجاهلييّن؛ وقليل منهم من لم يعرض للخمر في شعره. ولهم في ذلك تعابير جيّدة بالنسبة إلى ذلك العصر وبالنسبة إلى أذواق الناس التي تلائم تلك البيئة. ومن أهّم الشعراء الجاهليين الّذين تناولوا الخمرة في قصائدهم وتكلّفوا بها [طرفة بن العبد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%B1%D9%81%D8%A9_%D8%A8%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%AF)، و[عدي بن زيد العبادي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%AF%D9%8A_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D9%8A)، و[عمرو بن كلثوم](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D8%B1%D9%88_%D8%A8%D9%86_%D9%83%D9%84%D8%AB%D9%88%D9%85)، و[عنترة بن شدّاد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%86%D8%AA%D8%B1%D8%A9_%D8%A8%D9%86_%D8%B4%D8%AF%D8%A7%D8%AF)، و[المنخّل اليشكري](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%AE%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B4%D9%83%D8%B1%D9%8A)، ولاسيما الأعشى الأكبر.

وبإمكاننا أن نقسّمهم إلى قسمين: الأوّل هم الذيّن افتخروا بشرائها وشربها وإسرافهم في هذا الأمر دون أن يصفوها إلّا قليلاً.

والثاني هم الّذين وصفوا الخمرَ وأجادوا فيها بعض الإجادة دونَ أن يكونَ وصفهم عميقا، وإنمّا كانوا يقنعون بالظواهر، فيصفون لون الخمر ومظهرها ويصفون أقداحها وأباريقها ويذكرون مكان شرائها ويصفون طعمها ولونها وصفا مجملاً ويشيرون إلى مفعولها في النفس..

وأمّا من الذيّن كانوا يفتخرون بشربها كافتخارهم بالبطولة والشجاعة: عنترة بن شدّاد، والمنخل اليشكري، ولبيد بن ربيعة، وطرفة بن العبد، وعمر بن كلثوم.

 وأمّا الّذين وصفوا الخمَر مع شيء من التفصيل وأشاروا إلى طعمها ولونها وإلى أثرها في النفس منهم: عدي بن زيد العبادي، الشاعر النصراني الذي عاش في «الحيرة» في أواخر العصر الجاهلي

له قصيدة مشهورة تدلّ على أنه كان مكلّفاً بالخمرة ومُجيدا في وصفها حيث يقول:

بكر العاذلونَ، في وضح الصبـ ـح يقولونَ لي أما تستفيقُ

ويلومون فيكِ يا ابنة عبداللّـ ـه، والقلبُ عندكُم موثوقُ

ـلستُ أدري إذا أكثروا العدلَ فيها أعدو يلومني أم صديق

ودَعَوا با لصبّوح يوما، فجاءَت قينةٌ في يمينها إبريق

قدَّمتْه على عُقار كعين الديكِ صفّى سلافها الراووق

مُرّة قبلَ مَزجها، فإذاما مُزحِت، لذَّطعْمَها من يذوق

وطَفا فوقها فقاقيع كاليا قوتِ حُمرٌ يُثيرُها التصفيقُ

ثمّ كان المِزاجُ ماء سحابٍ لا صدى آجنٌ ولا مطروق

 أمّا الأعشى الأكبر فقد كانت عنده للخمرة منزلة كبيرة، ولهذا أكثر من وصف الخمر وأطال وأجادَ وصفها كوصف عاشق لمعشوق. وتبسطّ في الحديث عنها بحيث كادت الصورة الخمرية تكتمل فيه وكادت جميع المعاني الخمرية الموجودة في الجاهلية تجتمع فيه بصورة كاملة..

 والميزة الأساسية في الشعر الخمري عند الشعراء الجاهليين هي أنّهم لم يتّخذوا الخمَر فناً مستقِلّا من فنون الشعر كما اتّخذوا المدح والهجاء والفخر والحماسة، كما يرى الدكتور طه حسين ويقول: «ولم يكن من الممكن أن يستقلَّ وصف الخَمر في هذا العصر ويصبح فنّا قائما بنفسه يقصد من حيث هو. لأن الحياة الجاهلية لم تكن تسمح بذلك ولا تدعو إليه. كما تدعو إلى وصف الخيل والإبل وما إلى الخيل والإبل. لأنّهم لم يكونوا من النعمة ولين العيش بحيث يستطيعون أن يعكفوا عليها ويعاشروها معاشرة متصّلة، كما كانوا يعاشرون الإبَل والشاة وإنّما كانت تسنح لكثير منهم فرصة اليوم أو الساعة، يشرب فيها ويلهو. فإذا فرغ من شربه ولهوه تحدّث بذلك مفاخرا، وربّما وصف الخمر وذكر اللهو وهو لم يشرب، ولم يأخذ من اللهو بحظّ. وإنّما دعاه إلى ذلك الفخر والفنّ.».

 وقد تحدّثَ حسّان عن الخمرة في عدة قصائد ويصفها، «وصف من أحبّ الخمرة وعرف نشوتها وهو وصف فخري على عادة الجاهليين، أكثر ممّا هو تفصيلي وتحليلي». ومنها قصيدة يتناول الخمرة خلالها ويمدح فيها أولاد الجفنة ويعتّز بكرمهم وبأنهّم من الأحرار لا يقبلون الظلَم كما يفتخر بشربهم للخمر ويرى ذلك الشرب دليلاً على عزّهم. وعندما ينتقل إلى وصف الخمر وما يتعلق بها مباشرة ويطلب من الساقي أن يعطيه خمرة صرفا غير مقتولة بالماء، لتكون تأثيرها أشد في النفس حيث يقول:

ولقد شربتُ الخمر من حانوتها:

صهباءَ صافية لطعم الفلفلِ

يسعى علىَّ بكأسها متَنّطِفٌ

فيَعِلُّني منها، ولو لم أنْهَلِ

إنّ التي ناوَلتَنى فرددتُها

قُتِلتْ - قُتِلْتَ - فهاتها لم تَقُتَلِ

كلتاهما حلبُ العصير، فعاطني

بزُجاجةٍ أرخاهُما لِلمفصَلِ

بِزُجاجةٍ رقصتْ بما في قعرها

رَقصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجلِ

وكان الأخطل أشهر شعراء الخمرة في العصر الأموي لكثرة إدمانه لها في حياته ولكثرة حديثه عنها في شعره، يقول في وصف الخمر:

شربنا فمِتنا ميتةً جاهلية

مَضى أهلُها لم يعرفوا ما محمُّد

ثلاثة أيّامٍ، فلمّا تنبّهتْ

حُشاشاتُ أنفاسٍ أتتنا ترَدَّدُ

وقلنا لساقينا: عليكَ فَعُد بنا

إلى مثلها بالأمس فالعَودُ أحمدُ!

فجاءَ بها كأنّما في إنائه

بها الكوكبُ المرّيخُ، تصفُو وتُزبَدُ

تفوحُ بماءٍ يشبهُ الطيبَ طيبُه

إذا ما تعاطتْ كأسها مِن يدٍ يدُ

تُميتُ وتُحيي بعد مَوتٍ، وموتُها

لذيذٌ، ومحياها ألذُّ وأحمد

 وشهد الشعر الخمري تطورا عميقا في القرن الثاني للهجرة بسبب الاختلاط بين العرب والعجم وأخذ يظهر آثاره الكثيرة المختلفة. ومن أعظمها وأشدّها خطرا، المجون وحبّ الخمر واللهو. وقد بدأ الشعر الخمري في هذا القرن [بالوليد بن يزيد بن عبد الملك](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%AF) الّذي نشأ فاسقا، خليعا. متّهما في دينه وهو أوّل من بدأ من تغيير في شكل الخمريات في أوائل القرن الثاني، وله عدة مقطوعات في وصف الخمرة ومفاعيلها، وذكر مجالس اللهو والطرب، ومنها قصيدة مشهورة يستهلُّها بهذه الأبيات:

اصدع نجَّى الهموم بالطّرب

وانعم على الدّهر بابنة العنب

واستقبل العيش في غضارته

لا تقفُ منه آثارَ مُعتقب

من قهوةٍ زانها تقادُمُها

فهي عجوزٌ تعلو على الحقب

أشهى إلى الشَّرب، يومَ جلوتِها

مِن الفتاة الكريمة النسب